البَابُ الأوَّل

جمهورية أفلاطون

الفصل الأول : المناخ الفكري وعوامل التأثير الاجتماعي.
الفصل الثاني : شؤون الأسرة ومنهج التربية.
الفصل الثالث : السياسة ونظم الحكم.
الفصل الرابع : الفضيلة ونظرية الفن.
الفصل الخامس : جمهورية أفلاطون بين الواقع التاريخي والأثر الفلسفي.

الفَصْل الأوَّل

المناخ الفكرى وعوامل التأثير الاجتماعى

أفلاطون واسطة عقد فلاسفة اليونان، وأول من أبدع فلسفة شاملة لنواحي الفكر وجوانب الحقيقة، وصاحب أشهر مدرسة فلسفية في التاريخ القديم ـ هي الأكاديمية التي ظلت تقوم بتدريس الفلسفة من القرن الرابع قبل الميلاد حتى النصف الأول من القرن السادس الميلادي عندما أغلقها الأمبراطور جستنيان ـ ولا تزال الأكاديمية حية باسمها في جميع اللغات، فالبحث الأكاديمي يدل على عمق الفكرة وأصالتها.

وقد كان لأفلاطون اليد الطولى على الفكر الإنساني في عصوره المختلفة، وترك أثراً بارزاً وملامح واضحة في كثير من مذاهب وفلسفات. فهو الرائد وهم التابعون، حتى إذا قيل: ما الفلسفة؟.

فإن أفضل إجابة هي[1]: اقرأ أفلاطون.

فما أسرة ذلك الفيلسوف؟.

وما المدرسة التي تخرج منها؟.

وما العصر الذي عاش أحداثه؟.

أ ـ الأسـرة:

يقال: فلاطن، وأفلاطن، وفلاطون، وأفلاطون.

ويرى بعضهم أن اسمه الحقيقي هو «أرسطوكليس» ثم لقب بلقب

(١) الموسوعة الفلسفية المختصرة ـ ترجمة فؤاد كامل وآخرين ص ٤٦.

اشتهر به وهو «بلاتون» التي نطقها العرب «أفلاطون» ومعناها العريض، ولما كان فيلسوفنا عريض الوجه مبسوط الكتفين فقد دعاه معاصروه بأفلاطون.

وكثيراً ما يقال: أفلاطون الإلهي؛ لأنه يرجع في ختام الأصلاب إلى إله البحر - في زعمهم - ويقول القفطي[1]:

«ويونان يبالغون في أفلاطون ويعظمونه، ويقولون كان مولده إلهياً وكان طالعه طالعاً جليلاً، ويحكون في ذلك حكايات هي بالأسمار أشبه فأضربت عن ذكرها»

والحق أن يعلل ذلك بأن أفلاطون كان أول مؤله منهجي - كما يقول الدكتور محمد غلاب[2]: وضع الألوهية كنظرية فلسفية في بلاد الإغريق بل إن تاريخ البرهنة الفلسفية على وجود الله قد بدىء - كما قرر الأستاذان جانيه وسياي - بعصر أفلاطون.

هذا وقد ولد في أثينا أو في جزيرة قريبة منها تسمى «إيجينا» عام ٤٢٨ق.م. على وجه التقريب، وقد نشأ من أسرة نبيلة لها منزلة في الحكمة ومكانة في الحكم، فهو ابن أرستون الذي ينتسب إلى «كودروس» آخر ملوك أثينا، وأمه تسمى «أفريقطوني» من نسل «سولون» أحد الحكماء السبعة، فأجداده من الملوك والمشرعين وأسرته أرستقراطية عريقة في المجد، وعاش أفلاطون إحدى وثمانين سنة ولم يتزوج ولم تعرف له أية علاقة نسائية، وقيل في تعليل ذلك أنه لم يكن لديه ميل جنسي، وحاول «ليفنسون»[3] الدفاع عنه فقال: (إنه كان يشعر بنفسه غريباً في مجتمعه ولم يشأ تكوين أسرة في مجتمع يعتقد أنه يفتقر إلى الفضيلة حتى لا يفسد

---

(١) إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٥.

(٢) مشكلة الألوهية ص ٣٣.

(٣) جمهورية أفلاطون - د. فؤاد زكريا ص ١٠٤.

أطفاله بدورهم في هذا المجتمع، ويرى أنه لو عاش في مدينته الفاضلة لانتهى به الأمر فعلاً إلى تكوين أسرة وإنجاب أطفال).

ومن العجب حينئذ أن يدّعي القفطي أنه تزوج امرأتين!!.

ومات أفلاطون عام ٣٤٧ق.م. تقريباً ودفن بالبساتين في الأكاديمية وكُتب، على قبره ما ترجمته ـ كما يقول القفطي:

(ههنا موضع رجل هو أرسطو كليس الإلهي، وقد تقدم الناس وعلاهم بالعفة، وأخلاق العدل فمن كان يمدح الحكمة أكثر من سائر جميع الأشياء فإنه يمدح هذا جيداً؛ لأن فيه أكثر الحكمة وليس في ذلك حسد).

وعلى الجهة الأخرى من القبر كُتب:

(أما الأرض فإنها تغطي جسد أفلاطون هذا، وأما نفسه فإنها في مرتبة من لم يمت).

ب ـ المدرسة:

نعني بالمدرسة التيارات الفكرية والاتجاهات الثقافية التي كونت فكر أفلاطون وفلسفته، وليس من الضروري أن يكون للمدرسة مقر ثابت ودار معروفة، بل قد تتبلور عن الاتصال المباشر بذوي العقلية الممتازة وتلمذة الصحبة الدائمة لهم.

ولقد مرت هذه المدرسة لدى أفلاطون بمرحلتين:

١ ـ مرحلة التلمذة على سقراط.

٢ ـ عهد التنقل والرحلات.

وأخيراً تبوأ أفلاطون كرسي الأستاذية فأنشأ الأكاديمية لتخريج المشرعين والسياسيين الحكماء.

وإليك بعض الأضواء.

التمذة على سقراط:

كي نفهم فلسفة أفلاطون ومنهجه لا بد أن نفهم سقراط وفكره، فقد اتصل بأستاذه في سن العشرين تقريباً ولازمه في الأعوام الثمانية الأخيرة إلى أن قضى سقراط نحبه عام ٣٩٩ق.م.

وسقراط فيلسوف يوناني، حياته هي فلسفته، لم يترك كتباً مخطوطة وآثر أن يبني الرجال ويُودع النفوس الطاهرة أفكاره ومبادئه.

نشأ من أب نحّات، وأم قابلة، ولذا عبّر عن نفسه كثيراً: بأنه يحترف صناعة أمه إلاّ أنه يولّد الحق من أفواه الرجال!!.

واعتقد سقراط أن هناك هاتفاً روحياً، يحمّله تبعات رسالة يجب أن يؤديها لشعب أثينا وروى أفلاطون عن ذلك قصة:

كان لدى اليونانيين معبد شهير في مدينة دلفي، وتقوم كاهنته بالإدلاء بما يوحَى إليها من إجابات عن الأسئلة التي يقدمها الزائرون في شتى الاتجاهات، وذات يوم سألها أحد اتباع سقراط: هل بين الرجال من هو أكثر حكمة من سقراط؟ فقالت الكاهنة: ليس هناك من هو أحكم من سقراط[1]!!.

وما لبث سقراط أن زاول رسالته الفلسفية، وواجه السوفسطائيين الذين ذهبوا إلى إنكار حقائق الأشياء، وجعلوا الفرد مقياس كل شيء، ودعوا إلى تحصيل المنفعة الشخصية واللذة العاجلة.

وأخذ سقراط يحاور الناس، وخاصة الشباب ويلتقي بهم في الأسواق والحوانيت ويجادلهم في الخير والشر، والعدل والظلم، والشجاعة والجبن، وحقوق الفرد والجماعة، إلى غير ذلك مما يتصل بالإنسان وسعادته حتى قيل عنه: (إنّه أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض) أي إنه جعل اهتمام الفلسفة بالأخلاق وطبيعة الإنسان، بدلاً من البحث في الطبيعيات، ولذا

(١) راجع «محاورات أفلاطون» ترجمة د. زكي نجيب محمود ص ٥١.

كان شعار فلسفته حكمة مكتوبة على معبد دلفي: (اعرف نفسك بنفسك) فالإنسان ليس جسماً بل نفس يجب أن تحظى في المقام الأول بالتربية؛ لأنها مستودع الأسرار.

ويقوم منهجه على الحوار المباشر المحدود للبحث المشترك عن الحقيقة، ويبدأ سقراط حواره مع صديقه مدّعياً أنه يريد الاستفادة من معرفته، ثم يحاول أن يصل معه إلى الوضوح الذاتي، بفحص معارفه عن طريق أسئلة متوالية تبدو أنها غير وثيقة الصلة بمسألة الحوار إلى أن يفيق الخصم، وقد قال آراء مختلفة أو متناقضة لما قال به منذ قليل، فيصل إلى نتيجة أولى وهي إثبات جهل الخصم، وهذه هي مرحلة التهكم التي ينتزع فيها الأباطيل.

وأخيراً ينهي سقراط حواره ببيان التعريف الجامع المانع للشيء الذي يبحث فيه، وهذ هي مرحلة التوليد.

والحقيقة ـ كما يرى الدكتور عبد الرحمن بدوي[1] ـ (أن سقراط كان يبحث عن حقائق الأشياء فحسب، ولم يكن لديه مذهب معين يريد أن يودعه الخصم أو المحاور، فإذا كان هذا تهكماً فليس تهكماً بالمعنى السيء، وإنما هو تهكم قد قصد به إلى إثارة التفكير في نفوس الآخرين، وحثّهم على البحث في قيمة ما يؤمنون به، ودفعهم إلى الكشف عن الحقائق على أساس منهج علمي صحيح).

وظل سقراط يؤدي رسالته ويسير وراءه الشيوخ والشباب، يلهب فيهم روح الفضيلة، ويزكي فيهم نزعة الثورة على الفساد، حتى بلغ السبعين من عمره، فاجتمعت عليه قوى الشر وإرادات الانتقام، فوجهت إليه تهمة ذات شقين:

ديني: وهو إنكاره لآلهة اليونان ودعوته إلى آلهة جديدة.

---

(١) أفلاطون ص ٣٣.

وسياسي: وهو إفساد الشباب بتحريضهم على النظام القائم.

ووقف سقراط في قفص الاتهام يشرح موقفه ويؤكد رسالته في ثبات رائع وبطولة رائدة، وأبى أن يستعطفهم فثارت حمية القضاة وصدر الحكم بإعدامه، فأمسى سقراط الشهيد الأول للعقل وحكمته.

وقد قدم أفلاطون صورة رائعة لدفاع سقراط وسجنه، وإعدامه كما رسم صورة شاملة لفكره وفلسفته، وهو أوثق مصادرنا عن سقراط.

ويمكن أن نبرز أهم أثر لسقراط على أفلاطون فيما يلي:

١ ـ الاهتمام بالمجتمع ونظم الحكم ومناهج التربية، فتلك رسالة سقراط كما هي نزعة أفلاطون بحكم أسرته، ثم هي التعبير الأمثل للوفاء لأستاذه بالقضاء على نظم الحكم الفاسدة، التي أودت بحياته وحتى لا يموت سقراط آخر.

٢ ـ وسيلة المعرفة الفلسفية هي الحوار؛ ولذا كانت مؤلفات أفلاطون كلها محاورات إلاّ في القليل النادر، وقد اصطنع ذلك تخليداً لذكرى أستاذه، وإيماناً منه بأن اكتشاف الحقيقة لا يتم إلاّ عن طريق الحوار أو الجدل.

٣ ـ إبراز شخصية سقراط في كل المحاورات الأفلاطونية، ومن البدهي أن سقراط لم يقل كل ما نسبه إليه أفلاطون من أقوال، وإلاّ فسيكون معنى ذلك أن نلغي وجود أفلاطون، بوصفه فيلسوفاً وإنما المراد هو الاعتزاز بذلك الأستاذ وإقامة تمثال فلسفي له.

الرحلات:

قضى أفلاطون اثني عشر عاماً بعد موت أستاذه يتنقل من بلد إلى بلد، يتلقى الحكمة من مصادرها، ويتذوق كل فكر وعقيدة... فقد صدم لأول مرة بمأساة سقراط التي ملأت نفسه احتقاراً لديمقراطية الرعاع التي أنهت حياة أستاذه، وبدت أثينا كأنها مأوى الشياطين ولذا آثر الرحلة.

اتجه أفلاطون إلى «ميغارا» ووجد بعض الراحة في بيت «اقليدس»،

أحد تلاميذ سقراط، ومؤسس مدرسة الميغاريين التي تجمع بين فلسفة سقراط ومذهب المدرسة الإيلية، ولعل أفلاطون درس عن صديقه فلسفة بارمنيدس (ولد في ٥١٤ق.م) في الوجود المطلق وإنكار الأشياء التي تقع تحت الحس وبطلان الحركة التي تتوهمها في الغار.

ثم ارتحل أفلاطون إلى «قورينا» في شمال أفريقيا، واتصل بأرستبوس صاحب المدرسة القورينائية، وأحد تلاميذ سقراط، وقد نادت تلك المدرسة بأن تحصيل اللذة والخلو من الألم هما الغاية الوحيدة في الحياة.

وبعد ذلك سافر أفلاطون إلى مصر، ومكث بها ثلاث سنوات تعرف فيها على مظاهر حضارتها التي اعتقد أنها أقدم بكثير من حضارة اليونان، وسجل رأيه هذا في محاورة «طيماوس» في صورة حديث بين «سولون» وكاهن مصري طاعن في السن:

قال الكاهن: يا سولون! يا سولون أنتم أيها اليونانيون أطفال دائماً فليس ثمة شيء اسمه يوناني قديم.

فسأله سولون: ماذا تعني بقولك؟.

فأجاب الكاهن: أنتم صغار في أرواحكم إذ ليس فيها أي أثر من الآراء القديمة ولا التراث البعيد ولا العلم الذي شاخ مع الزمن.

ثم يقول: إن ما تذكره يا سولون، عن أصل الإنسان والعالم لا يختلف إلاّ في القليل عن حكايات الأطفال!!.

والأثر الذي تركته زيارته لمصر يبرز في الاتجاه الإشراقي لدى أفلاطون، والقول بخلود الروح، والاهتمام بالعلوم الرياضية، حتى جعلها أساس القبول في أكاديميته.

وأخيراً توجه أفلاطون إلى بلاد اليونان الكبرى في جنوب إيطاليا، فزار «تارنتا» ودرس فيها فلسفة «فيثاغورس»، ثم انتقل إلى صقلية بدعوة من طاغيتها «ديونيسوس» الأول، ولم يكد يقف على تعاليم أفلاطون

السياسية، واتجاهاته الأخلاقية حتى قلب له ظهر المجن، وكانت عاقبة أفلاطون أن يُعرض في سوق الرقيق، وقد افتداه رجل من المدرسة القورينائية وأطلق حريته فعاد إلى أثينا عام ٣٨٧ق.م.

الأكاديمية:

عاد أفلاطون إلى أثينا، وقد بلغ أربعين سنة تبلورت فيها فلسفته، وتحدد فكره وتميزت ملامحه، ولم يجد أمامه من سبيل للإصلاح الاجتماعي والسياسي إلاّ أن يربي شباباً تربية خاصة، ويقودهم نحو المثل العليا في العدالة والفضيلة كي يؤدوا واجبهم نحو الدولة التي يجب أن يتولاها الملك الفيلسوف أو الفيلسوف الملك.

أراد أفلاطون أن ينشىء مدرسة، فاختار مكاناً هادئاً خارج أسوار أثينا، وهو عبارة عن بستان، يسمى باسم أحد الأبطال القدماء هو «أكاديموس»، ويؤدي إلى هذا البستان طريق تحف به من الجانبين تماثيل عظماء اليونان، ويمتاز بنضرة زرعه وكثرة جداوله.

وكان لهذه الأكاديمية ـ أو الجامعة ـ عرف خاص تقاليد معينة، فاختصت بطريقة معينة لتصفيف الشَعر واتخاذ القلانس الرشيقة والأرواب الجميلة والاتكاء على العصي.

واحتوت الأكاديمية على معبد لربات الموسيقى والأدب، وحجرات لإقامة الأساتذة والطلاب، وقاعات للاجتماع والمحاضرات وتناول الطعام المشترك.

وجرت العادة ـ في أيام الصيف ـ أن يستمع الطلاب إلى المحاضرة وهم مشاة في البستان، وتلك عادة اتبعت في معظم المدارس الفلسفية إلاّ أن المدرسة التي اشتهرت باسم المشائين هي مدرسة أرسطو دون غيرها.

ولم يتحمل الطلاب أجوراً عن التعليم، ولكنهم ـ في الغالب ـ كانوا من أبناء الأثرياء الذين وهبوا للجامعة هبات سخية، كذلك أوصى الأغنياء

قبل وفاتهم لأعضاء هيئة التدريس والطلاب بما يكفل لهم الحياة الفلسفية الوادعة بعيداً عن مشقة كسب القوت وضياع الوقت.

وشعار الجامعة الذي كتب على بابها:
«لن يدخل هذا المكان إنسان بلا هندسة».

ومن طريف ما يُروى أن الناس تسامعوا عن محاضرة يلقيها أفلاطون في الخير، فجاؤوا على أمل أن يتعلموا كيف يكونون سعداء فإذابهم لا يسمعون إلاّ فلكاً وحساباً وكلاماً عن الواحد والمحدود وغير ذلك من الأمور الرياضية.

وقد اهتمت الأكاديمية ببحث سائر العلوم والمعارف، ويمكن تقسيم منهجها الدراسي إلى أربعة أقسام[1] هي:

الفلسفة، ثم العلوم الإنسانية من سياسة وأخلاق ونفس واجتماع، ثم العلوم الرياضية من حساب وهندسة وفلك وموسيقى، ثم العلوم الطبيعية وعلوم الحياة، والفلسفة تاج هذه العلوم كلها وهي الغاية التي ينتهي إليها الطالب بعد أن يتبحر في العلوم وخاصة الرياضيات.

وقد ضمت المدرسة صفوة من اليونانيين، وقدمت للفلسفة حكماء كباراً أشهرهم أرسطو المعلم الأول.

وظل أفلاطون على رأس الجامعة أربعين عاماً، يدفع بالفلسفة دفعاً قوياً حتى تكون رسالة العصر وعقيدة المجتمع. وتخللت حياته الأكاديمية رحلتان قصيرتان إلى صقلية، ففي عام ٣٦٧ق.م. تولى الحكم هناك «ديونيسوس» الثاني وكان صغير السن، فأرسل إلى أفلاطون صديق له يسمى «ديون» ليستعين به على تنشئة الملك الشاب تنشئة جديدة، تضيف شخصية الفيلسوف إلى شخصيته الحاكمة، فلبى أفلاطون نداء صديقه غافلاً عن مساوىء الرحلة الأولى في عهد أبيه الملك السابق.

(١) المدارس الفلسفية ـ د. أحمد فؤاد الأهواني ص ٤٣.

وما كاد يصل ويستقر حتى توترت العلاقة بين ديون والملك الشاب، لما وصل إلى علمه من أن ديون يسعى إلى اكتساب المزيد من النفوذ السياسي كي يطيح به، فضاق الملك به ذرعاً، ونفاه وأودع صديقه أفلاطون قلعة هي بالسجن أشبه، ثم سمح له بالعودة إلى أثينا.

وفي عام ٣٦١ق.م. بعث «ديونيسوس»، مرة أخرى في طلب أفلاطون، وكي يضمن استجابته جعل حضوره شرطاً للعفو عن «ديون» ، فاستجاب أفلاطون رغبة في تحقيق رأيه في الدولة، ووفاء لصديقه، ولكن هذه الرحلة لم تكن أحسن حالاً من سابقتها، فقد سئم الملك الصغير دراسة الفلسفة ولم ينفذ وعده بل أصدر أمراً آخر بمصادره أملاك «ديون»، وهمّ أن ينال أفلاطون بالتعذيب، لولا تدخل قوي من جانب أحد الحكام المجاورين الذي أرسل سفينة أقلت أفلاطون إلى بلاده.

وانتهت الرحلة الثالثة إلى صقلية، وانتهت معها كل أحلام أفلاطون من حيث تحقيق آرائه السياسية، ولبث في أثينا يدير شؤون الأكاديمية، ولا يتصل بالسياسة العملية، إلى أن وافاه أجله وقد جاوز الثمانين عاماً.

وتعاقب بعده الرؤساء، وطال عمر الأكاديمية تسعة قرون حتى أغلقها الأمبراطور جستنيان عام ٥٢٩م، فهاجر فلاسفتها إلى «جنديسابور» ورحب بهم كسرى أنوشروان، وترك لهم حرية البحث وظلت الفلسفة الأفلاطونية محل الدراسة، حتى وصلت إلى بغداد على عهد العباسيين، وقام العصر الذهبي للترجمة إلى العربية.

جـ ـ العصر:

يقال: «إن الفترة الواقعة بين مولد «بركليز»، وموت «أرسطو» تعد أهم فترة في تاريخ العالم كله، سواء نظرنا إليها من حيث ذاتها، أو من حيث أثرها في مصائر الإنسان المتحضر من بعدها».

ولأجل الوضوح في فهم فلسفة أفلاطون لمعرفة الواقع الذي سبق

تفكيره، والبواعث التي حدت به إلى رفض هذا الواقع وتجاوزه، والمُثل التي سعى لتحقيقها ـ من أجل ذلك لا مفر من أن نلم بطرف من الجوانب السياسية والاجتماعية.

الجانب السياسي:

أرض اليونان ذات طبيعة مفرقة فهي وعرة المسالك، ذات جبال وأودية، نشأت بين أرجائها مدن كثيرة ليس من اليسير الاتصال بينها، وكان لكل منها حاكم مستقل، وبلغ من صغرها أن باشر الناس جميعاً في بعضها أمور السياسة والتشريع، يلتقون في مكان واحد ليصوغوا القوانين العامة ويشتركوا في قضايا الدولة.

ولشيء من التفصيل نقول:

في القرن الخامس قبل الميلاد نشبت حروب دامية بين الفرس والمدن اليونانية استمرت من عام ٤٩٠ إلى ٤٥٠ق.م، تساقط فيها الكثير من القتلى والجرحى، وعانت البلاد كثيراً من الويلات الاقتصادية والاجتماعية.

وتزعمت «أثينا» المدن اليونانية الأخرى في آسيا وبحر إيجه بفضل قوتها البحرية التي انتصرت بقيادة «سيمون» الأثيني نصراً مؤزراً على الفرس عند منصب نهر «يور يمدون» عام ٤٦٨ق.م.

وانضم كبار الساسة الأثينيين إلى «ثمستكليز» الذي مارس سياسة التوسع الاستعماري يحدوه أمل في رقي أثينا وتقدمها، ويحميه أسطول قوي. ولكن ممارسته السياسية كانت وضيعة، وليست على مستوى الأهداف فاتهم بالاختلاس والرشوة وتبديد الأموال العامة، فأصدر الأثينيون قراراً بنفيه عام ٤٧١ق.م.، وبعد صراعات وأحقاد أصبح «بركليز» صاحب السلطة العليا على جميع قوى أثينا المادية والروحية، وظل الأثينيون ينتخبونه ويجددون انتخابه لمدة ثلاثين عاماً تقريباً (٤٦٧ ـ ٤٢٨ق.م.).

وحصلت أثينا في أيامه - كما يقول ديورانت[1] - على فوائد الحكم الأرستقراطي والدكتاتوري، وإن كانت قد استمتعت أيضاً بجميع مزايا الديمقراطية.

وازدهرت أثينا في ميادين الحياة جميعها من سياسة وفن وعلم وفلسفة، فأخذت تتطلع إلى السيطرة على كافة المدن اليونانية، فشرعت بعض المدن تستغيث بأسبارطة أن تقف في وجه أثينا، ومما زاد حدة المواجهة تلك الكراهية العنصرية بين أهل أثينا وسكان إسبارطة، كما بدا لنظام الحكم الأرستقراطي في إسبارطة، أنه مهدد بنظم الحكم الديمقراطي في الأمبراطورية الأثينية.

وفي عام ٤٣٥ق.م. أعلنت الحرب بين أثينا وإسبارطة، وانضمت بلاد اليونان كلها إلى هذا الطرف أو ذاك، واشتدت المعارك الطاحنة حتى انتشر وباء في أثينا أهلك الحرث والنسل دام ثلاث سنوات، فتقدم القضاة متهمين «بركليز» بإساءة التصرف في الأموال العامة فعُزل من منصبه، لكنهم لم يجدوا من يخلفه فأعادوه، إلاّ أن المنية عاجلته بعد بضعة أشهر.

وقدمت ديمقراطية الرعاع زعماء من أمثال «كليون» تاجر الجلود، «وبكراتيز» بائع الحبال، «وهيبربولس» صانع المصابيح، وكان هؤلاء يَدعُون إلى مواصلة الحرب في البر والبحر.

وظلت الحرب سِجالاً إلى أن وقعت الكارثة، وتحطمت القوة الأثينية عام ٤١٤ق.م، واسترُقَّ نصف المواطنين، وترملت النساء وانضمت معظم المدن الخاضعة لأثينا إلى الدولة المنتصرة إسبارطة ذات النظام الأرستقراطي.

وبدأت أثينا الديمقراطية تنظم حكومتها، وتوطد قواعد اقتصادها،

---

(١) قصة الحضارة - المجلد الثاني جـ ٢ ص ١٢.

لتعاود الكرة، لكن الحزب الأرستقراطي الأثيني باغتها واستولى على السلطة، ثم راسل حكام إسبارطه لعقد الصلح معهم، وأخذ يمهد السبيل سراً لدخول الجيش الإسبارطي إلى أثينا فقامت ثورة مضادة بزعامة «ثرميز» زعيم حزب الوسط من الأرستقراطيين المعتدلين، وشكل مجلساً للحكم قوامه خمسمائة عضو عام ٤١١ق.م، واستمتعت أثينا بحكم ديمقراطي أرستقراطي لفترة قصيرة، عاد بعدها الديمقراطيون إلى الحكم، وتوالت الأحداث ومعها النكبات على أثينا حتى حاصرها «ليسندر» وامتلأت طرقات المدينة بأشلاء الموتى، ثم عقد صلحاً اشترط فيه إقامة حكم أرستقراطي يساند إسبارطة، في أية حرب تخوض غمارها، فنشأ حكم مجلس الثلاثين أو مجلس الطغاة، وكان من زعمائه اثنان من أقرباء أفلاطون هما أكريتباس وخرميدس.

وذاقت أثينا على أيديهم كل ألوان العنت والاضطهاد، وازدادت جرائمهم حتى نسي الأثينيون أوزار ديمقراطية الرعاع، وتعالت صيحات الثورة فجاء «ترازيبوس» وأعاد الديمقراطية إلى أثينا، وعاد السلام الذي حرمت منه جيلاً من الزمان.

وكان من أهم نتائج هزيمة أثينا بالنسبة لأفلاطون، إعجابه الشديد بالنظام السائد في الدولة المنتصرة، إذ إن كثيراً من عناصره قد تكرر بحذافيره في جمهورية أفلاطون.

الجانب الاجتماعي:

إن دراسة الجانب الاجتماعي عند الأثينيين له أهمية كبرى في إلقاء الضوء على فكر أفلاطون الاجتماعي، وقد قام ـ ول ديورانت ـ بتحليل أخلاق أهل أثينا وآدابهم في كتابه القيم «قصة الحضارة» ونحن نقتبس منه ما يلي[1]:

---

(١) قصة الحضارة، المجلد الثاني جـ ٢ ص ٨٠.

١ ـ الطفولة:

اجتمعت قوى الدين والملكية والدولة كلها لمقاومة العقم، فإذا لم يكن للأسرة أبناء من نسلها كان التبني هو العادة المتبعة، وكانت تصرف مبالغ طائلة للحصول على الأبناء الأيتام لكن القانون والرأي العام في الوقت نفسه كانا يبيحان قتل الأطفال، ويربان فيه وسيلة مشروعة للحد من زيادة النسل، ومنع تقسيم الأراضي الزراعية تقسيماً يؤدي إلى الفاقة، وكان في وسع كل أب أن يعرض طفلة للموت، بحجة أنه يشك في صحة انتسابه إليه، أو أنه ضعيف أو مشوه، وقلما سمح لأبناء الأرقاء أن يعيشوا، وكانت البنات أكثر تعرضاً للموت من الأولاد.

٢ ـ التعليم:

أنشأت أثينا ساحات للألعاب، ومدارس للرياضة البدنية، وكان لها بعض الإشراف على المدرسين، ولكن المدينة لم يكن فيها مدارس عامة أو جامعة تديرها الدولة، بل ظل التعليم في أيدي الأفراد، وكان المدرسون المحترفون ينشئون مدارسهم الخاصة.

ويبدأ قبول التلاميذ من سن السادسة، ويبقى التلميذ حتى يبلغ السادسة عشرة من عمره غالباً، وكان منهج الدراسة ينقسم إلى ثلاثة أقسام: الكتابة والموسيقى والألعاب الرياضية. ولا يعد الأثيني متعلماً إذا لم يتقن المصارعة والسباحة والرمي.

ويدرس البنات في منازلهن، وتقتصر الدراسة غالباً على علم تدبير المنزل، ولم يكن للبنات في غير إسبارطة حظ من الألعاب الرياضية العامة.

وإذا بلغ الشباب الثامنة عشرة، يبدؤون مرحلة تدريب مدى عامين على أيدي مدرسين يختارهم زعماء القبائل، للقيام بالواجبات الوطنية والعسكرية ثم يعهد إليهم لمدة سنتين ـ حماية المدينة من الغزو الخارجي والأضطراب الداخلي.

وبعد أن يتم تدريب الشباب في الحادية والعشرين يتحررون من سلطان الآباء، وينتظمون رسمياً في سلك المواطنة الكاملة.

٣ ـ المبادىء الأخلاقية:

لم يكن الأثينيون في القرن الخامس قبل الميلاد مثلاً طيباً في حسن الخلق، نعم إنهم اشتهروا بعدلهم القضائي ولكن قلما يؤثرون على أنفسهم أحداً غير أبنائهم، وقلما يشعرون بوخز الضمير، وفي الخطب العامة نرى السباب الشخصي هو روح البلاغة، ولقد كان البرابرة الذين هذبهم الدهر في مصر وفارس وبابل أرقى من اليونان كثيراً في هذه الناحية.

كان لديهم هيئات للعناية بالغرباء والمرضى والفقراء، ولا نكاد نرى رجلاً ذا شأن في الحياة الأثينية العامة لم يتهم، وإذا وجد رجل شريف عدّ من خوارق الطبيعة، ومن أيسر الأمور أن تجد اليونان يخونون وطنهم، ولم يكن للعادة والدين إلاّ أثر قليل في كبح جماح المنتصرين في الحرب، ولقد كان من الأمور المألوفة، حتى في الحروب الأهلية، أن تنهب المدن ويقتل الجرحى ويذبح الأسرى وتحرق البيوت.

٤ ـ العلاقات الجنسية:

يعترف الرجال والنساء بصراحة أن الجنس هو أساس الحب، وكانت أثينا تعترف بالبغاء، وتفرض ضريبة على البغايا، وعقدت الفلسفة وِفاقاً معه، وكان الفلاسفة يتبارون في كسب ودهن، واعترف اليونانيون في غير حياء بالشذوذ الجنسي، وكان أكبر من ينافس العاهرات هم الغلمان.

ولا يعد البيت للمواطن الأثيني حصنه وملجأه، بل مكان نومه فقط، ولم يكن اليوناني يتزوج لأنه يحب، ولا لأنه يرغب في الزواج، بل ليحافظ على نفسه، وعلى الدولة، عن طريق زوج جاءته بأموال وثياب وجواهر وعبيد من عند أبيها أو أقربائها.

وخلاصة رأي اليونان في المرأة إبان عصرهم الذهبي، يتلخص في

العبارة التي قالها «دمستين»: (إنا نتخذ العاهرات للذة، والخليلات لصحة أجسامنا اليومية، والأزواج ليلدن لنا الأبناء الشرعيين، ويعنين ببيوتنا عناية تنطوي على الأمانة والإخلاص).

د ـ على هامش الجمهورية:

١ ـ السوفسطائيون:

تميزت الحياة في القرن الخامس قبل الميلاد بمجموعة ملامح ظهرت على الوجه اليوناني، تجمعها كلمة واحدة هي الشك.

عجزت الفلسفة عن تفسير الكون، واضطربت الآراء في بيان العنصر الأول الذي نشأ عنه هل هو الماء (طاليس) أو اللامتناهي (الكسمندر) أو الهواء (انكسمنس) أو النار (هير اقليطس) أو العدد (فيثاغورس) أو العناصر الأربعة (انباد كليس) أو الذرة (ديمقريطس)؟!.

وكان الدين خرافة وأسطورة، فآلهة اليونان متعددة تملأ الأرض والسماء، ولكل مظاهر الكون إله خاص، فللشمس إله وللقمر إله وللبحار إله.. إلخ ولكل فن إله، وهناك آلهة أخرى للحرب والسلام، للخير والشر حتى البغاء كان له في المجموعة نصيب!.

وقد مر بنا مدى الاضطراب السياسي، والأحداث الدامية التي عاشتها بلاد اليونان، وترتب عليها أن فسدت الحياة الاجتماعية فلم تعتمد على فلسفة عقلية، ولا دين نقي ولا سياسة راشدة.

والنتيجة المنطقية لتلك الملامح العامة. أن ظهرت المدرسة السوفسطائية فما هي تلك المدرسة؟.

ومن تولى زعامتها؟.

وبم نادت وسط هذا المجتمع المريب؟.

ليس للسوفسطائيين مدرسة فلسفية تجمعهم على وحدة المبادىء والمنهج، وإنما هي ظاهرة فكرية، أربابها طائفة من المعلمين تفرقوا في أنحاء اليونان، اتخذوا التدريس حرفة يتقاضون عليه أجراً، أطلقوا على أنفسهم اسم «السوفست» أي ـ الحكماء ـ وكان يفهم من لفظ «السوفسطائي» ما نفهمه نحن الآن من لفظ «أستاذ جامعي»..

وان الهدف العام لهم إعداد المواطن الصالح للحياة السياسية في فترة أصبح الطموح السياسي مستولياً فيها على أذهان الكثيرين، فعلموا الناس قواعد البلاغة والنحو والصرف وعلم السياسة والتاريخ وفنون الطبيعة والرياضة، ثم انحرف بهم السبيل إلى التركيز على فن الجدل والنقاش، وانتزاع التصفيق والهتاف، فصارت كلمة «السفسطة» مرادفة لكلمتي التضليل والتهريج..

هذا وقد وصف السوفسطائيون بأنهم يعلمون الفضيلة وليس المراد المعنى الأخلاقي الذي نفهمه الآن، وإنما المراد مقدرة الشخص على ممارسة العمل المنوط به بكفاية ونجاح، وفضيلة كل شيء بحسبه، ففضيلة الشرطي يقظة الحراسة، وفضيلة الطبيب دقة تشخيص المرض ووصف العلاج. وهكذا فالسوفسطائيون معلمو فضيلة بمعنى قدرتهم على تهيئة المواطنين للحياة السياسية الناجحة، وقد وصف سقراط الذين يبعيون الحكمة بالمال لكل من يتقدم لشرائها بأنهم عاهرو الحكمة..!

وأشهر زعمائهم «بروتا جوراس» الذي ولد عام ٤٨٠ق.م.، وهو أول من سلّح المجادلين بسلاح المغالطات المنطقية، وهو واضع أساس النحو وفقه اللغة الأوروبيين، وأول من قسم الأسماء إلى مذكرة ومؤنثة، وذكر أزمان الأفعال، وقد بلغ في العلوم السياسية حداً دفع إحدى المدن إلى أن يطلبوا منه أن يشرع لهم دستوراً، ومحور فلسفته أن الإنسان مقياس كل شيء وهو الذي يقرر وجود الأشياء أو عدم وجودها..

وأخرج كتاباً عن الآلهة، أثارت أول جملة فيه ثائرة الناس وهي[1]:
(أما من حيث الآلهة فلست أدري أهي موجودة أم غير موجودة كما لا أعلم لها شبهاً، وثمة أشياء كثيرة تقف في سبيل هذه المعرفة، فالموضوع غامض وحياتنا الفانية قصيرة الأجل).

وقد ارتاع أهل أثينا، وأحرقوا كتبه في السوق العامة، وفرّ «بروتاجوراس» إلى صقلية ولكن السفينة ارتطمت به فغرق عام ٤١٠ق.م.

وواصل «جورجياس» هذه الثورة التشكيكية، وأخذ يتنقل من بلد إلى بلد حتى بهر الناس بأسلوبه الخطابي، وعبارته المنمقة التي تجمع بين الشعر والنثر، وألف كتاباً في الطبيعة حاول فيه أن يثبت ثلاث قضايا هامة:

١ ـ لا شيء موجود.
٢ ـ وإن وجد شيء لا يمكن أن يعرف.
٣ ـ وإذا أمكن أن يعرف فلا يمكن إيصاله إلى الغير..

ومعنى ذلك أن الأشياء التي تملأ الكون متغيرة لا ثبات فيها، فلا شيء موجود، ولو فرضنا وجود شيء فلا يمكن معرفته؛ لأن وسيلة المعرفة هي الحواس، وهي مختلفة من شخص لآخر، بل تختلف عند الشخص الواحد تبعاً لاختلاف الأحوال، وإذا أمكن معرفة شيء فلا ينقل إلى الغير لأن ما يصل عن طريق الحواس ذاتي لا ينقل لشخص آخر فلكل إحساسه..

وقد طبقت هذه القضايا على السياسة الأخلاقية والدين، فقوانين الدولة اختراع الضعفاء ليخضعوا به الأقوياء وليختلسوا منهم ثمار قوتهم

---

(١) قصة الفلسفة اليونانية ـ د. أحمد أمين ص ٦٦.

وقواعد الأخلاق نسبية فليس هناك فضيلة عامة، أو خير في ذاته ومعالم الدين وطقوسه خرافة وأسطورة.

وفي الحق. فإن السوفسطائية كانت وليدة عجز عام في الفلسفة والدين والسياسة، وقد رأينا تناقض الفلاسفة وأسطورية الدين اليوناني واضطراب السياسة الأثينية، وما كان للعقل وقد نفض أغلاله أن يقبل هذه الآلهة المتصارعة التي لا تكاد تحصى، والتي تمارس أبشع ألوان الظلم وأسوأ أشكال الجريمة وأدنى أخلاق البشر، وكل دعوة إلى العقل لا بد أن تبدأ بنبذ الخرافة والأسطورة، وظاهرة الدين اليوناني محيرة بلا ريب، ومن هنا كانت كلمة بروتا جوارس الشهيرة معبرة عن واقع يحياه ويجب أن تفهم في إطار الوسط الذي قيلت فيه.

ونظريات السفسطة لا يمكن أن تبني حضارة أو تؤسس علماً. فالحياة قائمة على حقائق الأشياء المعلومة بيقين، والعقل الإنساني في كفالة الشرع الإلهي حقيقي بكشف النواميس وممارسة التجربة واستنتاج الحقائق عمارة للكون وزاداً للحياة.

ولنعلم أن اختلاف الرأي، أو تناقض الظاهرة الاجتماعية، أو تباين الأخلاق بين الشعوب في الأزمنة المتعددة أو الأمكنة المختلفة، لا ينهض دليلاً على انعدام الحقيقة ذاتها، فقد اختلف الناس في شكل الأرض هل هي مسطحة أو كروية؟ وعددوا في الألوهية ووحدوا، ومارسوا الغناء بقانون ومنعه آخرون. ومع ذلك فإن للأرض شكلاً علمه الناس أو جهلوه، وإن للألوهية قداسة أدركها الناس أو انحرفوا عنها، وإن للفضيلة حقيقة أبصرها الناس أو تعاموا عنها[1].

---

(١) لمزيد من التفاصيل راجع:

١ ـ شخصيات ومذاهب فلسفية. د. عثمان أمين.

٢ ـ ربيع الفكر اليوناني ـ د. عبد الرحمن بدوي.

٣ ـ قصة الفلسفة اليونانية ـ د. أحمد أمين وزكي نجيب محمود.

وبعـد: -

فقد أيقظ السوفسطائيون الوعي الفلسفي والنضوج الذهني وجعلوا التفكير سنة العصر، وعلى إثرهم ظهر سقراط شيخ الفلاسفة، وأفلاطون واسطة عقدهم وأرسطو المعلم الأول.

ومن بين محاورات نجد بعضاً منها بأسماء زعمائهم مثل: محاورة «بروتاجوراس»، «هيبياس».

وهناك محاورة أخرى باسم «السوفسطائي»، بالإضافة إلى أن بعض شخصيات المحاورات الأخرى يمثلون جانب السفسطة مثل: «تراسيماخس» السفسطائي في محاورة الجمهورية.

٢ ـ الفيلسوف الأديب:

اليونانيون أمة ترتبط حياتها كلها بالكلمة، فكل شيء خاضع للشعب، والشعب يسيره الخطباء، ولذا ازدهرت بينهم فنون الأدب والخطابة، وقد رأينا كيف اشتهرت مدرسة السوفسطائيين بالجدل، والتلاعب بألفاظ اللغة وعبارات البلاغة، ولما جاء سقراط وجه الكلمة نحو الحق، وأحيا منطق الفضيلة وقضى حياته مجادلاً حصيفاً.

وقد شغف أفلاطون بطريقة أستاذه، مع ما كان منه في بدء شبابه من اتصال بالشعر وكتابة للأدب، كما اعتقد أن العلم تذكر وأن العقل في حاجة إلى من يزيل عنه أوهام الباطل وأساطير الخرافة؛ ليصل إلى الحقيقة الكامنة في عالم المثل الأعلى، ولا يتأتى ذلك إلاّ بالحوار المتصل والجدل العميق والمشاركة التامة بين أنصار الفكرة وخصومها، ولهذا اتخذ أفلاطون أسلوب الحوار ومنهج الرواية المسرحية والقصة التمثيلية في كل ما كتب ما عدا القليل النادر، فصاغها في حادثة ذات أبطال وأدوار، واستوفى المواهب الأدبية في تصوير الشخصيات، مما يقطع بأنها أعمال أدبية لا نتوقع منها

روايات تاريخية صرفة، وإن كان للتاريخ في بعضها أصل وأساس. قال شلي[1]:

(إن أفلاطون يعرض لك ذلك الائتلاف النادر بين المنطق الدقيق، والحماسة الشعرية ذائبين في فيض واحد من الاتزان إلى سيل عرم من التأثيرات الموسيقية).

إن المقدرة الأدبية لدى أفلاطون، لتظهر في مهارته على تقمص شخصيات متباينة وصياغة أفكار متناقضة، ومواصلة الحركة الجدلية بكل ما يعتورها من توافق أو تخالف، وتهكم أو تحكم، وتراجع أو تسليم. وقد ظهرت براعة الأديب في العناية بالزمان والمكان، والحبكة الفنية في تصوير الأحداث والظروف، وإبراز مكنون النفس وأسارير الوجه، ففي مستهل محاورة الجمهورية نقرأ على لسان سقراط[2]:

«بالأمس هبطت إلى «بيرايوس» مع «جلوكن بن ارستون» لأؤدي فروض الصلاة إلى الآلهة، كما أردت في الوقت نفسه أن أرى كيف يحتفلون با أمبد إذ إنهم كانوا يحتفلون به للمرة الأولى، ولكني سررت بمرأى موكب السكان، غير أن موكب «التراقيين» لم يكن يقل عنه جمالاً، وبعد انتهاء الصلاة ومشاهداتنا الحفل صعدنا إلى المدينة، وعندما لمحنا «بوليمارخوس بن كيفالوس» عن بعد ونحن على أهبة العودة، أمر غلامه بأن يُهرع إلينا ويسألنا الانتظار حتى يأتي. ولحقني الخادم فأمسك بمعطفي من الخلف قائلاً: إن بوليمارخوس يود لو انتظرتم».

وفي خلال الكتاب الأول من محاورة الجمهورية نقف أمام هذا التصوير لتراسيماخوس السوفسطائي[3]:

---

(١) جمهورية أفلاطون ـ ترجمة حنا خباز ص ١.

(٢) جمهورية أفلاطون ـ ترجمة د. فؤاد زكريا ص ١٧٨.

(٣) المرجع السابق ص ١٩١.

(ولقد حدث عدة مرات خلال المحادثة أن حاول «تراسيماخوس» التدخل في الحديث، فكانت بقية الجماعة تسكته إذ كانت تريد سماعنا إلى النهاية غير أنه عندما ساد الصمت لحظة بعد أن قلت كلماتي الأخيرة، لم يطق صبراً على السكوت فاستجمع قواه وأقبل نحونا كالوحش الضاري وكأنه يريد تمزيقنا إرباً، وشعرت أنا وبوليمارخوس برعب لا حد له، عندما علا صوته كالرعد صارخاً في الجماعة بأسرها: ماذا دهاكما يا سقراط ولم ظللتما تُسمعاننا هذه البلاهات اللفظية وتتعامل كل منكما الآخر على هذا النحو؟ إنك لو كنت مخلصاً حقاً في سعيك إلى معرفة العدالة لما اقتصرت على التساؤل.. إلخ).

إن أفلاطون يصور مذاهب واقعية وأشخاصاً حقيقين، يلتزم الصدق في عرضها والأمانة في عزوها، أما الحوار ذاته فهو عمل الأديب، قد لا يلتزم فيه نصاً أو تحقيق رواية.

وإن أسلوب أفلاطون المتدفق كأنه السيل - كما يصفه الدكتور محمد غلاب -[1] والعذب كأنه الشعر، والأخاذ كأنه السحر، والفاتن كأنه شيطان الاستغواء أو شبح الاستهواء، لم ينزل بالفكرة العالية إلى أرض التهاون أو دنيا الاستهتار، وإنما احتفظ بمنزلته العليا في سماء الجدية والرفعة والجلال.

٣ - ملامح عامة:

إن محاورة «الجمهورية» تلخص أفكار أفلاطون في كافة اتجاهاتها فهي موجز فلسفته في الطبيعة وما وراءها، والسياسة والاجتماع، والفن والفضيلة، وقد قدمها أفلاطون دستور البناء مجتمع فاضل أبدي فيه رأيه وملاحظاته على كافة قيمه وعناصر تكوينه.

وقد اضطرب الشراح في تحديد موضوع المحاورة، وساق الدكتور

(١) الخصوبة والخلود لأفلاطون في إنتاجه ص ٨٦.

فؤاد زكريا[1] مجموعة آراء تصل إلى حد التناقض في هذا الشأن، فبعضهم يدعي أن المحاورة تفتقر إلى الوحدة؛ لأنها تعالج موضوعات يصعب الربط بينها في نظره. وذهب آخرون إلى أن النفس البشرية هي الموضوع الرئيسي للمحاورة، استناداً إلى أن البحث في الدولة إنما جاء لتوضيح العدالة في الفرد كعملية تكبير أشار إليها أفلاطون في بدء المحاورة، وقالت مجموعة من الشراح: إن التربية على الخصوص هي الهدف الرئيسي، وكل الأبحاث السياسية تستهدف غاية تربوية هي إقامة الدولة الموجودة داخل نفوسنا، ويؤكد كثير من الباحثين أن السياسة هي الموضوع الرئيسي، وأن أفلاطون لم يصل إلى الفلسفة، إلاّ عن طريق السياسة ومن أجلها.

ويحاول الدكتور فؤاد زكريا، أن يقدم رأيه وهو أن تقسيمات الفكر إلى أخلاق وسياسة وفن وميتافيزيقا، هي تقسيمات مصطنعة قد أصبحت جزءاً من كياننا الذهني: أما أفلاطون فيقدم لنا في هذه المحاورة درساً بليغاً، هو أن الإنسان وحدةً لا تنفصم، ثم يقول: ولعل محاورته كانت مثلاً مبكراً سحيق القدم من أمثلة وحدة المعرفة، التي أصبحت في عصرنا هذا هدفاً بعيد المنال!.

ورأيي في هذا المجال، أن الأمر أهون من كل ما تصوره هؤلاء، فأفلاطون قد تحمل عبء تقديم تصور شامل لمجتمع فاضل، هذا المجتمع يقوم على شقين:

أ ـ فرد.

ب ـ حكومة.

ويتعلق بالفرد أبحاث تتصل بالأسرة والأخلاق، ويتعلق بالحكومة أبحاث تتصل بنظام الحكم والجيش المدافع عنها، ولا بدّ لكل من الفرد والحكومة من عقيدة تكون الإطار العام لكل هذه الاتجاهات، ومن هنا

---

(١) جمهورية أفلاطون ص ٥٣ ـ ٧٦.

تكلم أفلاطون عن الفضيلة والتربية ونظام الحكم، وأعلن نظرته إلى الأسرة والطفولة: كل ذلك في إطار نظرية المثل وعالم الخير الأسمى.

وليس للمحاورة من موضوع إلاّ المجتمع المثالي كما تصوره أفلاطون.

هذا ويكاد يجمع المؤرخون على أن المقالة الأولى من الجمهورية قد كتبت في عهد متقدم على بقية المحاورة، ويظهر فيها الأثر السقراطي ومنهجه في محاولة تحديد مفاهيم المعاني الشائعة، فالبحث والحوار يدور فيها حول «العدالة».

والرأي الراجح لدى الباحثين هو أن بقية المحاورة كتبت في العهد الأول لإنشاء الأكاديمية على شكل منهج دراسي، ومعنى ذلك أنها تمثل مركز الدائرة في فكر أفلاطون كله باعتبار توسطها لمؤلفاته وظهورها عن نضج عقلي بلغ قمة رشده.

وقد أتى على الجمهورية حين من الدهر، كانت نسياً منسياً من القرن الخامس الميلادي حتى القرن الخامس عشر، وهنا ولدت الجمهورية من جديد في عصر النهضة، وعرفت أوروبا المؤلفات الأفلاطونية لأول مرة عن طريق الترجمة اللاتينية التي قام بها «مرسيليو فيكينو»، ثم توالت الطبعات إلاّ أن الطبعة الرئيسية التي اعتمدها جميع الناشرين والمترجمين هي طبعة «هنري استيين» في مدينة ليون ١٥٧٨، وكل صفحة من هذه الطبعة مقسمة إلى عمودين، وكل عمود مقسم إلى خمسة أقسام، يرمز إليها بالأحرف ABCDE لتسهيل الرجوع إليها، ويكون ذلك هكذا: الجمهورية ٤٤٥ آ أي اسم المحاورة ورقم الصفحة ورمز الفقرة.

ومن جهة أخرى فقد اتخذ أفلاطون لحواره مكاناً، هو منزل شيخ طاعن في السن من ذوي الثروة والجاه هو «سيفالوس»، الذي يمثل حكمة الشيوخ، واجتمع حوله ابنه «بوليمارخس»، وكذا «غلوكون وأديمانتس» أخوا أفلاطون، وهؤلاء يمثلون حرارة الشباب واندفاعه، وأيضاً «تراسيماخوس» السوفسطائي، ويمثل فريق المعارضة، وقد تولى إدارة الحوار

وزمام المناقشة سقراط، وهناك شخصية لا يعرف عنها شيء يذكر، ولم يشترك في الحوار إلّا عرضاً وهي شخصية «كليتوفن».

ويبتدأ الحوار، ويشترك فيه الجميع بقوة ونشاط، كل يدلي برأيه ويدافع عنه ثم يأخذ في الهدوء، وتتوالى كل الشخصيات، ويتخذ سقراط من غلوكون وأديمانتس أدوات يتوصل بموافقتها وتسليمها إلى إظهار رأيه وتأكيد انتصاره.

وتضم محاورة الجمهورية أبياتاً من الشعر في مواضع عدة، يقتبسها أفلاطون من الإلياذة والأوديسا، أو الأعمال والأيام، وذلك لنقدها أو الاستشهاد بها.

«والألياذة» ملحمة شعرية تتكون من ١٥٥٣٧ بيتاً، مقسمة إلى أربع وعشرين أنشودة، والأوديسا ملحمة أخرى، تتكون من حوالي مائة وعشرين ألف بيت من الشعر، وما يقرب من أربع وعشرين أنشودة، وكلاهما لشاعر يوناني كبير عاش بين القرنين العاشر والحادي عشر قبل الميلاد هو «هوميروس».

«والأعمال والأيام» قصيدة شعرية لشاعر يوناني آخر عاش خلال القرن الثامن قبل الميلاد هو «هريودس».

وقد عرضت هذه القصائد لكثير من مشاكل الكون، ومظاهر الطبيعة وروت أخبار حروب وقلاقل حفل بها العصر الذي قيلت فيه، وصورت الآلهة في صور وضيعة وأحوال مستهجنة[1].

ويرى بعض المؤرخين أن هذه الأساطير القديمة حول الآلهة وما وقع بينها من حروب ومحاورات إنما هو تمثيل لتاريخ إنساني، وتسجيل لوقائع حدثت بالفعل بين زعماء نالوا من خلفهم التعظيم والتقديس، بأن مفاهيم

(١) راجع «هوميروس شاعر الإلياذة والأوديسا» ـ د. عبد المعطي شعراوي.

الألفاظ تختلف من جيل لجيل، ومن عصر لعصر، فلفظ الإله قديماً كان يضاهي لفظ البطل أو زعيم الأمة بلغتنا المعاصرة تقريباً.

وتنتبي الجمهورية بأسطورة دينية حول خلود النفس، وأنواع الجزاء الذي ينتظرها وتلك عادة أفلاطونية في أغلب المحاورات.

* * *